الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

SOCIÉTÉ ÉGYPTIÉNNE D'ÉTUDES HISTORIQUE

المجلة التاريخية المصرية

المجلد رقم (44) العدد الثانى مايو 2006 م

إشكالية الهوية لدى البويهيين[1]

لم تكد تنتصف سنوات العقد الرابع من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، إلا وكان البويهيون يطرقون أبوب بغداد فى مظاهرة عسكرية كبرى ، تسبقهم أخبار انتصاراتهم فى ولايات الجوار ، ويدعمهم خلو الحاضرة العباسية من غريم قوى قد يفسد عليهم نشوة الانتصار . وبينما كانت أبواب بغداد تفتح على مصراعيها ترحيباً بالوافد الجديد ، كان الخلفاء العباسيون يستعدون للقيام بأحد أسوأ أدوار تاريخ دولتهم . وما بين خطوات البويهيين لصياغة واقعهم ومستقبلهم فى ظل مستجدات الأحداث ، ومحاولات الخلفاء العباسيين الحثيثة لاستعادة ما تبقى لهم من تواجد على الساحة السياسية للعالم الإسلامى ، دارت وقائع تلك الحقبة التى نحن بصددها .

ونظراً لثراء تلك الفترة من تاريخ المشرق الإسلامى ، والتطورات المتلاحقة التى شهدتها الدولة العباسية على يد الأسرة البويهية خلالها ، فإنها حظيت باهتمام العديد من الدارسين[2]، الذين أخرجوا لنا العديد من الدراسات حول النواحى السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية لهذه الأسرة . وبوجه عام يبدو تاريخ هذه الأسرة شديد الوضوح فى هذه المجالات من خلال ما ورد فى جنبات المصادر التاريخية ، وما قدمته تلك الدراسات من أضواء جديدة حول تلك الزوايا . ولكن بقيت هناك إشكالية تبدو غامضة بعض الشئ وهى الخاصة بالهوية الحقيقية التى تمسك بها

1- ينتسب **البويهيون** إلى بويه بن فنا خسرو الذى ترجع أصوله إلى عنصر الديلم الذى ظهر فى جبال البرز فى الجنوب الغربى لبحر قزوين . وكان بويه صياداً فقيراً أنجب ثلاثة أبناء هم على والحسن وأحمد ، وقد خدم الثلاثة فى بدايتهم الحاكم السامانى نصر بن أحمد ، ثم بعد ذلك أمير جيلان المدعو ماكان بن كاكى الذى أصبح حاكم جرجان من قبل السامانيين . ثم انتقلوا بعد ذلك للعمل فى خدمة مرداويج مؤسس الأسرة الزيارية . وكانت تلك الخطوة بداية الظهور الحقيقى لهم على الساحة السياسية . وللمزيد عنهم أنظر :

الصابئ ، *المنتزع من التاجى* ، تحقيق محمد حسين الزبيدى ، العراق ، 1977 ؛ ص 32 وما بعدها ؛ المستوفى ، *تاريخ گزيده* ، بسعى واهتمام إدوارد براون ، لندن ، 1910، ص413 وما بعدها ؛ خواندمير ، حبيب *السير فى أخبار البشر* ، جلد دوم ، زير نزر دكتر محمد دبير سياقى ، چاپ دوم ، تهران ، 1353 ، ص420 وما بعدها ؛ ميرخواند ، *تاريخ روضة الصفا* ، جلد چهارم ، تهران ، 1339 ، ص150 وما بعدها ؛

Hasan , S. , *The early history of the Buwahids* , (Allahabad , 1948) ; Frye , R. , *The golden age of Persia* , (London , 1975) , p.208 – 209.

2- انظر على سبيل المثال :

إبراهيم سليمان الكروى ، *البويهيون والخلافة العباسية* ، الكويت ، 1982 ؛ حسن منيمنة ، *تاريخ الدولة البويهية السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى 334 – 447هـ / 945 – 1055* ، بيروت ، 1987 ؛ على أصغر فقيهى ، *آل بويه وأوضاع زمان ايشان بانمودارى از زندكى مردم دارن عصر* ، بسعى واهتمام على أكبر صبائى ، تهران ، 1357ش ؛

Bowen , H. , " The last Buwayhids " , ***JRAS*** , (1929) ,pp.225 – 245 ; Büsse , H. , " Iran under the Būyids " , in : ***CHI*** , (Cambridge , 1975) , pp. ; Donohue , J. , *The Buwayhid dynasty in Iraq 334 H. / 945 to 403 H. / 1012* , (Leiden , 2003).

البويهيون بعد أن ظهروا على الساحة السياسية ولعبوا أحد أهم الأدوار فى تاريخ الدولة العباسية ، ونعنى بها هنا هويتهم على النطاقين القومى والأيديولوجى . وللوهلة الأولى قد تبدو هذه الإشكالية أمراً بسيطاً من خلال ما عرف عنهم من جذورهم الفارسية وميلهم للتقاليد الفارسية القديمة ، واعتناقهم للمذهب الشيعى الزيدى السليمانى*. ولكننا قد نتوقف طويلاً حول اهتمامهم بالمقابل باللغة العربية وتشجيعهم للثقافة العربية ، وكيف أن أول أمير بويهى دخل بغداد كان لا يعرف من اللغة العربية ما يمكنه من مخاطبة مستقبليه فى الحاضرة العباسية مما اضطره للاستعانة بمترجم ، بينما كان الأمراء البويهيون الأُخر ووزرائهم ينظمون الشعر باللغة العربية الفصحى ، وأضحت قصورهم موئلاً لكبار الأدباء والشعراء الذين صنفوا العديد من المؤلفات فى الشعر والأدب تعد من عيون الأدب العربى . كذلك ما عرف عنهم من ميلهم للامامية* وتشجيع أئمتها ، وتعاطفهم مع إحدى فرقها وهى الإثنا عشرية* تارة ، والإسماعيلية* تارة أخرى ، والتودد إلى القرامطة* تارة ثالثة ، ثم ميلهم أحياناً للمذهب السنى .

---

* **الزيدية** هم أتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (رضى الله عنه) فى خروجه على فى زمان هشام بن عبد الملك ، وقد جعلوا الإمامة فى أولاد فاطمة رضى الله عنها . وكانت الزيدية ثلاث فرق : الجارودية ، والصالحية والبترية (وهما على مذهب واحد) ، والسليمانية . و**السليمانية** هم أصحاب سليمان بن جرير وكان يقول أن الإمامة شورى فيما بين الخلق ، وأنها تصح فى المفضول مع وجود الأفضل وأثبت إمامة أبو بكر وعمر ، وطعن فى عثمان للأحداث التى أحدثها ، وأكفر عائشة والزبير وطلحة بإقدامهم على قتل على . للمزيد عنهم انظر ، النوبختي ، *فرق الشيعة* ، تحقيق عبد المنعم الحفنى ، القاهرة ، 1992 ، ص 48 .

* هى إحدى فرق الشيعة ، وهم الذين نادوا بإمامة على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد النبى صلى الله عليه وسلم نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً . وقد اختلفت الإمامية حول من هو الإمام بعد جعفر بن محمد الصادق ، ومن ثم تفرقت إلى فرق عدة كالإسماعيلية والإثنا عشرية وغيرها . انظر ، الشهرستاني ، *الملل والنحل* ، تحقيق محمد بن عبد السميع ، ج1 ، القاهرة ، 1961 ، ص162.

* أخذت هذه الفرقة اسمها من اعتقادها فى أن الأئمة من أحفاد على بن أبى طالب اثنا عشر ، ثم استتر الأئمة بعد ذلك ليعودوا إلى الظهور فيملأون الأرض عدلاً ، وقد اعتقدوا أن الإمامة انتقلت إلى موسى الكاظم ومن بعده على الرضا حتى وصلت لمحمد بن الحسن العسكرى وهو الإمام الثانى عشر الذى اعتقدوا أنه دخل فى سرداب ولم يعد بعد ... انظر : الشهرستانى ، المصدر نفسه ، ج1 ، ص164 .

* تنتسب الإسماعيلية إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، الإمام السابع الذي نصبه الإسماعيلية إماماً لهم ، ومن أهم مبادئهم إيمانهم بالإمامة ، وأن العقل البشرى وحده يقصر عن الوصول إلى معرفة الله معرفة حقة ، لذا يجب على الناس أن يختاروا إماماً يقوم بإرشادهم ، كما يؤمنون أن لكل ظاهر باطناً ، ولكل تنزيل تأويلاً ظاهراً وباطناً ، لذا عرفوا أيضاً بالباطنية . وللمزيد عنهم انظر : البغدادى ، *الفرق بين الفرق* ، بيروت ، 1987 ، ص 265 – 298 ؛
Daftray, F. , " The Earliest Isma'ilis " , ***Arabica*** , 38 (1991), pp.214 – 245.

* القرامطة : تنتسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط ، وهى فرقة شيعية تؤمن بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق ، لكنها تطرفت فى معتقدها وسلوكها . وللمزيد عنها انظر : البغدادى ، *المصدر السابق* ، ص266 وما بعدها ؛
Massignon , L. , " Esquisse d'une bibliographie qarmate " , in : ***Oriental Studies offered to E.G. Browne*** , (Cambridge , 1922) , pp.329 – 338.

من هنا تبرز هذه الإشكالية حول الهوية الحقيقية التى ارتضاها البويهيون والدافع وراء ميل هؤلاء لكل جانب من تلك الجوانب . وتحاول تلك الدراسة أن تقف على حقيقة هذه الهوية وحل تلك الإشكالية .

وسوف نتعرض فى البداية للجانب الأول والخاص بالناحية القومية ، لنعرف لأى جانب مال البويهيون ؛ للهوية الفارسية أم العربية . ولنبدأ هنا باستعراض ميولهم الفارسية على أساس أنها كانت الجانب الأشهر فى تاريخهم . وأولى هذه الميول نجدها فى محاولتهم ربط جذورهم الأولى بأصول ملكية فارسية ، وظهر ذلك فى سعيهم لإلحاق نسبهم بملوك الفرس الساسانيين . فقد نسبهم أبو إسحاق الصابئ* فى كتابه التاجى إلى الملك الفارسى بهرام گور*[3]. وتبعته فى ذلك بعض المصادر التاريخية[4]. كما أرجعت بعض المصادر التاريخية الأخرى[5] نسبهم إلى سابور ذى الأكتاف*. ولاشك أن هذا النسب غير صحيح بالطبع ، كما يظهر من النسب الذى ذكرناه فى فاتحة الدراسة ، وكما يظهر من قول الصابئ نفسه حين دخل عليه صديق له وهو يعد كتاب التاجى وسأله عما يفعل فرد عليه قائلاً " *أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها* ! "[6].

---

* هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الحرانى (ت. 384هـ/994م) ، تقلد ديوان الرسائل فى عهد معز الدولة ومن بعده ابنه عز الدولة وكان بينه وبين عضد الدولة عداء فلما تمكن منه كاد أن يقتله ثم لم يلبث أن عفا عنه وكلفه بعمل كتاب عن تاريخ الدولة الديلمية فعمل كتاب التاجى . وللمزيد عنه انظر : ياقوت الحموى ، *معجم الأدباء* ، ج1 ، بيروت (ب.ت) ، ص324 – 358 ؛ وللمزيد من التفاصيل عن هذا الكتاب انظر :

Khan , M. , " The contents of the *Kitāb al-Tāǧī* Manuscript of Abū Ishāq Ibrāhīm al-Sābī " ,***IS***, 3 (1969) , pp.247 – 252 ; Idem , " Studies in the *Kitāb al-Tāǧī* epitome of Al-Sābī " , ***Arabica*** , Tome XVIII (1971) , pp. 194 – 201.

* عنه انظر : كريستنسن ، *شاهنشاهي ساسانيان* ، ترجمه للفارسية : مجتبي مينوي ، تهران ، 1314 شمسي ، ص29.

3- الصابئ ، *المنتزع من التاجى* ، ص32 .

4- ابن خلكان ، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان* ، تحقيق : إحسان عباس ، ج1 ، بيروت ، 1968 ، ص174 ؛ المقريزى ، *السلوك* ، ج1 ، القسم الأول ، القاهرة ، 1934 ، ص24 ؛ ابن الوردى ، *تاريخ ابن الوردى* ، ج1 ، بيروت ، 1996 ، ص255.

5- ابن الطقطقى ، *الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية* ، تحقيق : عبد القادر محمد مايو ، حلب ، 1997 ، ص270 ؛ ابن الجوزى ، *المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم* ، ج6 ، بيروت ، 1358هـ ، ص270.

* هو الملك سابور الثاني وقد حمل لقب ذو الأكتاف بعد أن نكل بالعرب تنكيلاً شديداً لدرجة أنه كان يخلع أكتافهم ، وذلك لأن بعض قبائل العرب هاجمت حدود دولته وأشاعوا فيها الفوضى ، فلما استقرت له أمور الحكم قام بالانتقام منهم . وللمزيد عنه انظر : المستوفي ، *تاريخ گزيده* ، ص 78 ؛ القزوينى ، *لب التواريخ* ، از نشريات مؤسسة خاور بهمن ، تهران ، 1314 ش ، ص 49 .

6- ابن حسول ، تفضيل الأتراك على سائر الأجناد ، استنبول ، 1945 ، ص35 ؛ ابن الوردى ، *تاريخ ابن الوردى* ، ج1 ، ص301.

كذلك فإن البويهيين كعنصر من عناصر الديلم كانت اللغة الفارسية هى لغتهم الأم بحكم أنهم سكنوا أحد البقاع الفارسية ، وظل البويهيون محتفظين بهذه اللغة حتى بعد أن دخلوا بغداد . لذا فعند دخولهم الحاضرة العباسية عام 334هـ / 946م ومقابلتهم للوزير العباسى على بن عيسى (ت334هـ / 946م) اضطر معز الدولة البويهى (334 – 356هـ / 946 – 967م) للاستعانة بمترجم كوسيط بينه وبين الأخير[7]. وكان من بين أسباب اختيار معز الدولة لوزيره أبو محمد المهلبى[8] (ت352هـ/962م) هو إجادته للفارسية[9]. وظلت اللغة الفارسية هى لغة عناصر الديلم من رجال البويهيين ؛ ومن ذلك ما حدث فى مجلس الخليفة العباسى المستكفى (333 – 334هـ/ 945 – 946م) عندما قرر معز الدولة خلعه ، حيث تقدم نحو الخليفة جنديان من الديلم وعلا صوتهما وهما يخاطبانه بالفارسية فى حضرة معز الدولة ، قبل أن يقوما بالقبض عليه وسمل عينيه[10]. كما كان الحوار فى بعض الأحيان بين الأمراء البويهيين وكبار رجال حاشيتهم يتم بالفارسية ، ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزى[11] عن عضد الدولة (367 – 373هـ / 977 – 983م) حينما كان فى حضرة الخليفة العباسى الطائع (363 – 381هـ / 973 – 991م) من أنه قبّل الأرض فى حضرة الخليفة ، فسأله أحد كبار رجاله باللغة الفارسية عما جعله يفعل ذلك . وبرغم أن الحديث هنا قُصد به ألا يفهمه الخليفة بصورة مباشرة ، فإنه هنا يشير إلى تعود عضد الدولة على الحديث بالفارسية مع كبار رجاله . كما كان كل من صمصام الدولة (373 – 377هـ / 982 – 987م) وبهاء الدولة (379 – 403هـ / 989 – 1012م) يستخدمان اللغة الفارسية فى حديثهم[12].

ولم يكن النسب الفارسى المزعوم ، واحتفاظ البويهيين باللغة الفارسية هى المظاهر الوحيدة لتمسكهم بالهوية الفارسية ؛ فخلال قرن ونيف ، هى عمر الأسرة البويهية ، تميز العصر البويهى بمحاولات حثيثة لجعل حكمهم يسير وفقاً للتقاليد الساسانية القديمة . وقد ظهر الحرص على إحياء التقاليد الفارسية القديمة فى أكثر من مجال لعل أهمها حرصهم على التشبه بالملوك الساسانيين القدامى فى هيئتهم ومواكبهم . ففى عام 351هـ/962م أصدر ركن الدولة (333 – 367هـ / 977 – 983م) ميدالية تذكارية تصوره وهو يرتدى التاج الساسانى التقليدى والهلال والنجمة المنقوشين

7- الهمذانى ، تكملة تاريخ الطبرى ، تحقيق : البرت يوسف كنعان ، ج1 ، بيروت ، 1958 ، ص156 ؛ مسكويه ، *تجارب الأمم* ، ج2 ، تصحيح : آمدروز ، القاهرة ، 1914 ، ص106 ، حاشية آمدروز .

8- للمزيد عنه انظر : ابن النديم ، *الفهرست* ، ج1 ، ص194 ؛ محمد مسفر الزهرانى ، *نظام الوزارة فى الدولة العباسية ، العهدان البويهى والسلجوقى 334 – 590هـ* ، الرياض ، 1980 ، ص89 – 99.

9- مسكويه ، *المصدر السابق* ، ج2 ، ص124 – 125.

10- ابن سعيد الأنطاكى ، *تاريخ الانطاكى* ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، طرابلس ، 1990 ، ص53.

11- *المنتظم* ، ج7 ، ص99.

12- أبو شجاع الروذراورى ، *ذيل كتاب تجارب الأمم* ، تصحيح آمدروز ، مرجليوث ، القاهرة ، 1916 ص154 ، 256.

على الطراز نفسه ، وحوله نقوش بهلوية أخرى ترجع للعصر الساسانى[13]. كما ضربت ميدالية فى فارس عام 359هـ / 970م تحمل صورة ابنه عضد الدولة على الطراز الساسانى نفسه[14]. كذلك حرص الحكام البويهيون على التشبه بالفرس فى مواكبهم وقصورهم ، فقد اعتاد عضد الدولة أن يركب فيلاً فى موكبه بين فارس وبغداد[15]. كما أنشأ فى شيراز حديقة وضع بها بعض الفيلة[16]. ووضع على مقدمة جندوله أسد من فضة[17].

ولم يقف البويهيون عند هذا الحد من التشبه بملوك الفرس ، بل تعدوا ذلك إلى حمل بعض ألقابهم وأبرزها لقب شاهنشاه ، وهى لفظة فارسية تعنى ملك الملوك ، وكان يتلقب بها ملوك الفرس القدامى[18]. وقد تنوع اتخاذ البويهيين لهذا اللقب ما بين اتخاذه فى الحياة العامة أو ضربه على العملات والميداليات أو ذكره على النقوش الأثرية.

وتذكر المصادر التاريخية[19] أن عضد الدولة أول من اتخذ لقب شاهنشاه وخطب له بهذا اللقب على المنابر ، برغم أن الخليفة العباسى لم يمنحه هذا اللقب بصورة رسمية . ولكن يبدو أن عضد الدولة لم يكن أول الأمراء البويهيين الذين اتخذوا هذا اللقب ؛ إذ أن لدينا من الشواهد ما

13- للمزيد من التفاصيل عن هذه الميدالية انظر :

Miles , G. , " A portrait of the Buyid prince Rukn al - Dawla " , ***American Numismatic Society Museum Notes*** . XI (1964) , pp.283 – 293.

ولمقارنة تلك النقوش بمثيلتها التى كانت تنقش على العملات الساسانية القديمة انظر :

ناصر النقشبندى ، *الدرهم الإسلامى* ، ج1 ، *الدرهم الإسلامى المضروب على الطراز الساسانى* ، بغداد ، 1969 ، ص 30 وما بعدها ؛

Walker , J. , *A Catalogue of the Muhammdan coins in the British Museum ,* vol. I , *The Arab Sassanian coins* , (London , 1991) , p.6f.

14- انظر :

Bahrami , M. , " A gold medal in the Freer Gallery of Art " , in : ***Archaeologia Orientalia in Memoriam Ernst Herzfeld*** , (New York , 1952) , pp.5 – 20.

15- أبو شجاع ، *المصدر السابق* ، ص73.

16- انظر :

Wiet , G. , " Les travaux d'utilité publique sous le government des Buyides " , ***Art Asiatique*** XXI , (1970) , p.9.

17- ابن الجوزى ، *المصدر السابق* ، ج7 ، ص107.

18- الكرملى ، *النقود العربية والإسلامية وعلم النميات* ، القاهرة ، 1987 ، ص151.

19- الانطاكى ، تاريخ الانطاكى ، ص196 ؛ ابن الجوزى ، *المصدر السابق* ، ج7 ، ص 113 ؛ ابن تغرى بردى ، *النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة* ، ج4 ، القاهرة (ب. ت) ، ص142 .

يؤكد اتخاذ أبيه ركن الدولة لهذا اللقب[20] فعلى الميدالية التى ضربت باسم ركن الدولة عام 351هـ/962م نجد النقش التالى " *شاهنشاه فليزداد مجده* "[21].

وجرى عضد الدولة على نهج أبيه ولكن بصورة أكثر انتشاراً . فقد حرص على ذكر هذا اللقب على الميدالية التى ضربت باسمه عام 359هـ / 970م ، فقد كتب على وجه الميدالية باللغة البهلوية " *شاهنشاه فليزداد مجده* " [22]. ولم يكن هذا اللقب خاصاً يتم تداوله فى الميداليات التذكارية فقط ، بل صار اللقب علماً عليه يخاطب به من قِبل حاشيته ، فقد خلع عليه المتنبى لقب شاهنشاه فى قصيدة مدحه بها عام 356هـ/ حيث قال فيها :

وقد رأيت الملوك قاطبة   وسرت حتى رأيت مولاها

ومن مناياهم براحته   يأمرها فيهم وينهاها

أبا شجاع بفارس عضد الدولة فناخسرو شاهنشاها[23].

وفى خطاب كتبه الصابئ عام 368هـ/789م يهنئ فيه عضد الدولة بفتح ميافارقين* خاطبه قائلاً " *مولانا الملك شاهنشاه* " [24]. كما كان الصاحب بن عباد* (ت 385هـ/ 995م) يخاطب عضد الدولة قائلاً " *مولانا الملك شاهنشاه السيد المنصور عضد الدولة وتاج الملة* "[25]. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى ذكره على العملات التى سكها عضد الدولة ، ومنها الدرهم الذى ضربه عام 369هـ/790م[26]. زد على ذلك أن اللقب صار مقترناً به حتى فى المناطق خارج نطاق نفوذه ؛ فقد كان يخطب له فى مساجد القسطنطينية باسم " *ملك الإسلام شاهنشاه* "[27].

20- انظر :

Bosworth , C. , *Medieval Arabic culture and administration* , (London , 1982) , p.62 ;

21- انظر :

Miles , *op.cit.* , p.284.

22- وعلى ظهر الميدالية كتب بالبهلوية " *فليطول عمر شاه فناخسرو* " انظر :

Bahrami , *op.cit.* , pp.17 – 18 ; Morgan , *Medieval Persia* , (London , 1988) , p.24.

23- انظر القصيدة كاملة فى : المتنبى ، *ديوان أبى الطيب* ، بيروت ، 1964 ، ص552 – 556.

* من كور الجزيرة وللمزيد عنها انظر : ياقوت الحموى ، *معجم البلدان* ، بيروت (ب. ت) ، ج5 ، ص235.

24- الصابئ ، رسائل الصابئ ، نشر شكيب أرسلان ، لبنان ، 1989 ، ص77 – 78.

* كان كاتباً للأمير مؤيد الدولة ثم صار وزيراً له ومن بعده أخاه فخر الدولة وللمزيد عنه انظر : ياقوت ، معجم *الأدباء* ، 170 – 172 ؛ الزهرانى ، *المرجع السابق* ، ص107 – 111 ؛

Kabir , M. , " The Sahib Isma'il ibn 'Abbad (326 A.H./938 A.D. – 385 A.H. / 996 A.D.) , ***IC*** 30 (1956) , pp.190 – 198.

25- *رسائل الصاحب بن عباد* ، صححها وقدم لها : عبد الوهاب عزام ، شوقى ضيف ، القاهرة ، 1366هـ ، ص33.

26- يوجد بالمتحف العراقى تحت رقم (6543 مس) .

27- عبد العزيز بن يوسف ، رسائل عبد العزيز بن يوسف ، نقلاً عن :

Donohue , *The Buwayhid dynasty* , p.78.

كما حمل أخاه فخر الدولة (377 –397هـ / 987 – 1006م) أيضاً هذا اللقب ؛ فقد اعتاد وزيره الصاحب بن عباد أن يخاطبه بلقب شاهنشاه[28]. كما أهدى إليه ديناراً وزنه ألف مثقال فى عام 377هـ/ 987م وقد ذكر عليه هذا اللقب ضمن بيتين شعريين قال فيهما :

بديع ولم يطبع على الدهر مثله ولا ضربت أضرابه لسراته
وصار إلى شاهنشاه انتسابه على أنه مستصغر لعضاته[29]

وفى خطاب أرسله الموفق وزير بهاء الدولة خاطبه بلقب مولانا شاهنشاه[30]. كما حرص أبو كاليجار (435 – 439 هـ/1044 – 1048) على التلقب به فى بعض مراسلاته ، ففى الرسالة التى أرسلها للمؤيد فى الدين داعى دعاة الفاطميين نجده يبدأ الرسالة بقوله " من *شاهنشاه المعظم ، ملك الملوك محيى دين الله ...... أبى كاليجار سلطان الدولة* "[31].

كذلك حرص البويهيون على تسجيل هذا اللقب على بعض أطلال الآثار الفارسية القديمة . ففى نقش عثر عليه على بوابة البهو الرئيسى لقصر الملك الفارسى داريوش* Darius فى أصطخر Persepolis يخص بهاء الدولة (379 – 403هـ / 989 – 1012م) ويرجع لعام 392هـ / 1002م نجد النص التالى : " بسم الله نزل ملك الملوك شاهنشاه بهاء الدولة وضياء الملة وغياث الأمة أبو نصر بن عضد الدولة........هذا الموضع متصيداً مع عسكر عظيم .... فى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة "[32].

وكما يفصح النقش السابق فإن الأمير بهاء الدولة فى إحدى رحلات صيده مر بأطلال قصر الملك الفارسى القديم داريوش فأحب أن يسجل زيارته لهذا القصر ، ولم يكتف بذلك فقط بل حرص على ذكر لقبه (ملك الملوك شاهنشاه) ، ولا تخفى هنا الدلالة التى رمى إليها بهاء الدولة من ربط هذا اللقب بهذا الأثر الفارسى القديم . وبرغم أن سلفه عضد الدولة قد مر بهذا الأثر عام

28– أبو شجاع ، *المصدر السابق* ، ص163.

29– ابن الوردى المصدر السابق ، ص297.

30– الصابى ، *تاريخ الصابى* ، ج8 ، تصحيح آمدروز ، مرجليوث ، القاهرة ، 1919 ، ص358.

31–راجع نص الرسالة لدى الشيرازى ، *سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة* ، تحقيق : محمد كامل حسين ، القاهرة ، 1949 ، ص76.

* ويعرف أيضاً باسم دارا الأول (ت 485 ق.م) ، وهو أحد ملوك الدولة الهخمانشية Achaemenid التى كانت تعد أعظم إمبراطورية في إيران القديمة ، انظر : عبد النعيم حسنين ، *الإيرانيون القدماء* ، القاهرة ، 1974 ، ص 7 ؛
Levy , R. , *Persian Literature* , (London ,1945) , p. 5 – 6.

32– للمزيد من التفاصيل عن هذا النقش راجع النقش الأول بملاحق البحث . وانظر أيضاً :
Donohue , J. , " Three Buwayhid inscriptions " , ***Arabica*** , Tome XX , (1973), p.79.

344هـ/954م بعد إحدى معاركه ، وحرص على تسجيل هذا الحضور على هذا الأثر[33]، إلا أنه لم يذكر هذا اللقب ، وربما كان ذلك راجعاً إلى أن الظروف لم تكن تسمح بذلك .

بجانب ذلك حرص البويهيون على نقش هذا اللقب على العملة لكى يتم تداوله وانتشاره ؛ فقد ضرب فخر الدولة درهماً ذكر عليه هذا اللقب[34]. كما ضرب بهاء الدولة أيضاً عام 395هـ / 1005م درهماً حرص فيه على ذكر هذا اللقب بجانب ألقابه الأخرى[35].

ولم يقف اهتمام البويهيون على حمل هذا اللقب وحدهم بل تعداه لمحاولة تلقيب الخلفاء العباسيين به . فعلى إحدى العملات البويهية التى ضربها بهاء الدولة والمؤرخة بعام 368هـ / 789م نجد هذا اللقب مصاحبا لاسم القادر بالله (381 – 422 هـ / 991 – 1030م)[36]. وكان ذلك بالطبع محاولة لصبغ الخلافة العباسية بالصبغة الفارسية من جهة ، ودفع الخليفة العباسى لمنح البويهيين هذا اللقب رسمياً ، فقد ظل الخلفاء طويلاً يرفضون الاعتراف بهذا اللقب.

وبرغم أن الخليفة القادر بالله أمر فى عام 412هـ/1021م أن يخطب لسلطان الدولة ولقبه بشاهنشاه[37]. إلا أن هذا الاعتراف باللقب لم يستمر طويلاً ، فعندما طلب جلال الدولة (416 – 435 هـ / 1025 – 1043 م) من الخليفة القائم بأمر الله (422 – 467هـ / 1031 – 1075م) عام 429هـ/1037م أن يخلع عليه لقب شاهنشاه امتنع الأخير واستفتى

33- وقد جاء فى نقش عضد الدولة على بوابة القصر : " **بسم الله حضره الأمير الجليل عضد الدولة فناخسره بن الحسن سنة أربع وأربعين وثلثمائة فى منصرفه مظفراً من فتح أصفهان وأسره ابن ماكان وكسره جيش خراسان وأحضر من قرأ ما فى هذه الآثار من الكتابة** ". انظر :

Donohue , " Three Buwayhid inscriptions " , p.75 ; Bosworth , C. , *Medieval Arabic culture* , p.62 .

34- جاء على وجه العملة " **لله / محمد رسول الله / ...... شاهنشاه / فخر الدولة / .... الأمة/ بن ركن الدولة** " . وعلى ظهرها جاء " **لا إله إلا / الله وحده / لا شريك له / الطائع لله** " . انظر نموذج هذه العملة بالملاحق ، وكذلك انظر : http://users.rcn.com/j.roberts/55.htm

35- جاء على وجه العملة " **لا إله إلا الله / وحده لا شريك له / ملك الملوك العدل / شاهنشاه قوام الدين / أبو نصر** " . وعل ظهر العملة " **محمد رسول الله / صلى الله عليه وسلم / شاهنشاه القادر بالله/ بهاء الدولة وضياء / الملة وغياث الدين** ". راجع نموذج هذه العملة بملاحق البحث . وانظر :

36- جاء على وجه العملة " **لا إله إلا الله /وحده لا شريك له / الملك بهاء الدولة / وضياء الملة / أبو نصر** " وعلى ظهرها جاء " **لله / محمد رسول الله / القادر بالله/ شاهنشاه/ قوام الدين** " . راجع نموذج هذه العملة بملاحق البحث . وانظر :

www.islamiccoins.net

37- ابن الأثير ، *الكامل فى التاريخ* ، ج9 ، تحقيق : أبو الفداء عبد الله القاضى ، بيروت ، 1995 ، ص131 – 132 ؛ ابن تغرى بردى ، *النجوم الزاهرة* ، ج4 ، ص255.

الفقهاء فأجازه بعضهم لكن القاضى أبو الحسن الماوردى* امتنع عن الإفتاء بجواز تلقيبه بلقب شاهنشاه رغم العلاقة الوطيدة التى تربطه بجلال الدولة[38]. كما كان للعامة أحياناً دوراً فى رفض هذا اللقب فقد ثار هؤلاء سنة (419هـ/1028م) عندما أراد جلال الدولة تلقيب نفسه بشاهنشاه دون رغبة الخليفة[39].

وقد رأى بعض الباحثين[40] أن اتخاذ هذا اللقب فى البداية كان نتيجة حنين عاطفى للماضى والميل للفرس ، ثم صار كدلالة سياسية لتأكيد تفوقهم وعلامة للثراء والعظمة . ولا ريب أن هذا الرأى يقترب كثيراً مما ذكرناه ، من أن اتخاذ اللقب كان جزءاً من الصبغة الفارسية التى حرص البويهيون عليها . أما كونهم اتخذوا اللقب أيضاً للدلالة على تفوقهم السياسى فهو أمر لم يكن فى المقام الأول ، فلم يكن البويهيون فى حاجة لاتخاذ هذا اللقب لتأكيد تفوقهم السياسى ، فقد حصلوا بالفعل على العديد من الألقاب التى أكدت ذلك [41].كما أن بعض الأمراء من جيرانهم السامانيين اتخذوا هذا اللقب[42]، ربما تقليداً للبويهيين ، ومن ثم فإن المغزى السياسى للقب لم يعد بالقوة التى قد يوحى بها .

وبجانب ذلك كان من مظاهر الميل للهوية الفارسية حرص البويهيين على الاحتفال بالأعياد الفارسية القديمة كعيدى النوروز * والمهرجان* . وعلى الرغم من أن النوروز كان عيداً

---

* الماوردى : هو أبو الحسن على بن محمد بن حبيب ، ولد بالبصرة ، ودرس الفقه على المذهب الشافعى ، وذاع صيته حتى تولى قضاء بغداد ، ثم وصل إلى منصب قاضى القضاة فى عهد القائم بأمر الله . وللمزيد عنه انظر : الشيرازى ، *طبقات الفقهاء* ، تحقيق خليل الميس ، بيروت، (ب. ت) ، ج1 ، ص138 ؛ فتحى أبو سيف ، *الماوردى عصره ... فكره السياسى* ، القاهرة ، 1990 ، ص5 وما بعدها .

38- ابن الأثير ، *الكامل* ، ج8 ، ص16 ؛ ابن كثير ، *البداية والنهاية* ، ج12 ، ص43 ؛ السبكى ، *طبقات الشافعية الكبرى* ، ج5 ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، محمود الطناحى ، القاهرة ، 1992 ، ص271.

39- ابن الجوزى ، *المنتظم* ، ج8 ، ص97.

40- انظر :

Frye ,R. , *The heritage of Persia* , (New York , 1956) , p.210 ; Madelung , W., " The assumption of the Title Shahanshah by the Buyids " , ***JENS*** , 28 (1969) , p. ; Donohue , *The Buwayhid dynasty in Iraq* , p.25 .

41- عن هذه الألقاب انظر : الصابى ، *رسوم دار الخلافة* ، تحقيق ميخائيل عواد ، القاهرة ، 2003 ، ص 131 – 132.

42- نظام الملك ، *سياست نامه* ، ترجمة وتعليق : السيد محمد العزاوى ، القاهرة ، 1975 ، ص195.

* النورز كلمة فارسية مكونة من مقطعين ؛ الأول " نو " بمعنى الجديد . والثانى " روز " بمعنى يوم ، فمعنى الكلمة هو يوم جديد . وهو عيد رأس السنة الفارسية ويقع في أول الربيع في الحادى والعشرين من شهر مارس الموافق أول شهر فرودين الفارسي . وللمزيد من التفاصيل عن هذا العيد وطقوسه انظر : البيرونى ، *الآثار الباقية عن القرون الخالية*، ليبزج ، 1923 ، ص194 ؛ فؤاد عبد المعطى الصياد ، *النوروز وأثره فى الأدب العربى* ، بيروت ، 1972 ، ص13 – 25 ؛ حسن عميد ، فرهنك عميد ، ج2 ، ص1470 ؛

شعبياً خلال العصر العباسى وقبل مقدم البويهيين ، حيث كان الخلفاء العباسيين يحتفلون بـه ، بل واتخذوه موسماً لجمع الخراج[43]. كذلك كان العامة يحتفلون به خاصة فى الولايات الفارسية ويستمر الاحتفال به طيلة ستة أيام[44]. لكن البويهيين كانوا يهتمون بهذين العيدين اهتماماً خاصاً فيعقدون فيهما المجالس ، ويرتدون أفخر الثياب ؛ إذ يذكر أبو شجاع[45] أن عضد الدولة كان يجلس عند مقدم هذين العيدين لتلقى التهنئة مرتدياً أفخر ثيابه . كما كان الأمراء البويهيين يتلقون فيهما التهانى من كبار رجال حاشيتهم ؛ فقد أهدى الصابئ قصيدة هنأ فيها عضد الدولة بيوم المهرجان وقد نقشها على إسطرلاب[46] . كما هنأ أيضاً الأمير البويهى صمصام الدولة بقصيدة بمناسبة عيد النوروز [47].

ومن المظاهر الأخرى للهوية الفارسية أن ديانة الفرس القديمة وهى الزرادشتية ظلت مزدهرة فى فارس فى عهد البويهيين [48]. وظل هناك تواجد للموابذة* حتى أن عضد الدولة استعان بأحدهم ليقرأ له النقوش البهلوية التى نقشت على بوابة قصر داريوش عند زيارته له . فقد جاء فى النص الذى نقش على هذه البوابة تخليداً لذكرى زيارة عضد الدولة له " حضره الأمير أبو شجاع

Malcom , J., *History of Persia* , Vol. II , (London , 1926) , p. 112 .

* كلمة فارسية معربة أصلها مهرگان . وهى مكونة من مقطعين : "مهر" ومن معانيه الشمس ، و" گان " بمعنى الحياة أو الروح . ويقع في الحادي والعشرين من سبتمبر ويوافق أول عيده الاعتدال الخريفي . انظر : عبد النعيم حسنين ، *قاموس الفارسية* ، بيروت ، 1982 ، ص 705.

43- ابن الأثير ، *المصدر السابق*، ج5 ، ص299.

44- ابن الجوزى ، *المصدر السابق* ، ج7 ، ص57.

45- أبو شجاع ، *المصدر السابق* ، ص74.

46- قال فيها :

أهدى إليك بنو الآمال واحتفلوا — فى مهرجان جديد أنت مبليه

لم ير بالأرض مهداة إليك فقد — أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

الثعالبى ، *يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر* ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ج2 ، القاهرة ، 1965 ، ص331.

47- وجاء فيها :

وزاده النيروز فى ملكه — عزاً وفى دولته نصراً

انظر : الثعالبى ، *يتيمة الدهر* ، ج2 ، ص33.

48- المقدسى ، *أحسن التقاسيم* ، ص282.

* الموابذة هم الكهنة الزرادشتيون الذين يقومون بطقوس تلك الديانة ويعلمونها للناس . انظر : جفري بارندر ، المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة إمام عبد الفتاح ، مراجعة عبد الغفار مكاوي ، عالم المعرفة ، العدد 173 ، الكويت مايو 1993 ، ص131.

عضد الدولة أيده الله فى صفر سنة أربع وأربعين وثلثمائة وقرئ ما فى هذه الآثار من الكتابة قرأه على بن السرى الكاتب الكرخى ومارسفند الموبذ الكازرونى "[49].

بجانب ذلك نجد أن عضد الدولة اتخذ موقفاً متشدداً ضد بعض المسلمين عندما اعتدوا علـى بعض الزرادشـتيين فـى اضـطرابات وقعت بين الجـانبين عـام 369هـ / 979م ، فقد أمـر بضربهم " *وبالغ فى تأديبهم* " [50]. وهذا الموقف من جانبه يظهر تعاطفه مع هذه الفئة التى تذكره بديانة أجداده القدامى .

وبجانـب ذلـك يبـدو أن البـويهيين لـم ينسوا تقاليـد الزرادشـتية مـن تقـديس واحتـرام النيـران ومواقدها وإن عدلوا من الطقوس لتلائم الوضـع الجديد . فقد ذكـر الـصابئ[51] أن صمصام الدولـة عند استقباله أحد رجال الإمبراطور البيزنطى كان يجلس فى دار المعزية فى قبة على مكان مرتفع ، ووضعت بين يديه كوانين ذهبية موقدة ويوضع بها العود والبخور . كما حرص البويهيون على إحياء عيد السذق*، وهو عيد تتجلى فيه الطقوس الزرادشتية ، حيث كانت توقد فيه النيران وتطير الطيور فى لهب تلك النيران والناس من حولها [52].

كذلك كانت شعيرة الولولة التى كرسها البويهيون تقليداً للطقوس الزرادشتية ، فقد أمر معز الدولة بإقامة مواكب جنائزية تخليداً لذكرى معركة كربلاء ، حيث يشترك بها الرجال الذين يلطمون وجوههم ويشقون ثيابهم والنساء اللاتى ينشرن شعورهن ويَنُحْنَ [53].

كذلك يظهر الاهتمام الكبير بالتقاليد الفارسية القديمة فى النتاج الفنى لتلك الفترة ؛ فالحرير البـويهى الـشهير الـذى عثر عليـه فـى مقـابر إسـلامية بـالقرب مـن الـرى ، كانـت تغلب عليـه الـروح الساسانية بشكل كامل ، مع الموضوعات الإيرانية القديمة مثل الطائر الذى يضع فى منقاره اللؤلؤ ، وهذا الـشكل مـن موضـوعات الفن الـساسانى الحقيقيـة . كذلك الميداليات التـى سـكها البويهيـون

49- انظر النقش الثانى بالملاحق . وانظر أيضاً :

Donohue , " Three Buwayhid inscriptions " , p.77 ; Frye , R. , *The heritage of Persia* , (New York , 1956) , plate 63.

50- ابن لأثير ، *المصدر السابق* ، ج7 ، ص390.

51- *رسوم دار الخلافة* ، ص16.

* ومعنى الكلمة ليلة الوقود وتقع فى العاشر من شهر بهمن . انظر : ابن منظور ، *لسان العرب* ، ص1979 ؛ ادى شير ، *الألفاظ الفارسية المعربة* ، بيروت ، 1908 ، ص87.

52- وفى ذلك يقول الشاعر :

ألست ترى الأوضاع فى دهمة الدجى ومنشؤها بالناظرين رفيق

دخاناً سخامى الصفات شراره بروق وعقد الريح فيه وثيق

انظر : الثعالبى ، *يتيمة الدهر* ، ج2 ، ص417 ، 418.

53- ابن الأثير ، *المصدر السابق*، ج7 ، ص17.

كانت تظهر أيضاً الموضوعات والأساليب الإيرانية القديمة ، وكانت تجمع الأساطير العربية والبهلوية عليها[54].

وهكذا فإن تفاصيل المشاهد السابقة توحى بما لا يدع مجالاً للشك أن البويهيين انصهروا فى الهوية الفارسية قلباً وقالباً ، وهو ما دعى بعض الباحثين[55] إلى اعتبار فترة حكم البويهيين إحياء جديد للملكية الفارسية القديمة . لكننا قبل أن نقر ذلك لا بد أن نستعرض باقى تفاصيل المشاهد البويهية ، ونعنى بها الجانب الآخر من هويتهم ، وهو الميل للغة العربية وآدابها.

وليكن البدء بالنسب كما فعلنا فى الهوية الفارسية ؛ فمن الغريب أن حرص البويهيين على إيجاد نسب فارسى لهم قابله حرص مماثل على خلق نسب عربى أيضاً! . فبجانب النسب الفارسى الذى ألحقه الصابئ فى كتاب التاجى [56] بالبويهيين نجده يضيف نسباً عربياً أيضاً ، وينسبهم إلى بنى ضبة*. وسار على نهجه بعض المؤرخين العرب[57].

وكان هذا إرهاصاً لاهتمام كبير سوف يوليه البويهيون للعربية وعلمائها وأدبائها . فقد صار بلاط البويهيين مرتعاً لكبار الشعراء والأدباء العرب ، فقد حاول عضد الدولة إقناع المتنبى بأن يكون من رجال حاشيته حتى نجح فى ذلك[58]. وبلغ مجموع ما تلقاه المتنبى من عضد الدولة ثلاثين ألف دينار عدا الخلع والهدايا[59]. كم كان من شعراء مجلسه السلامى (ت 395هـ/1004م) أشهر شعراء بغداد[60]، وبلغت منزلته عن عضد الدولة حتى أنه وصفه بقوله " *إذا رأيت السلامى فى مجلس ظننت أن عطارد قد نزل من الفلك ووقف بين يدى* " [61].

54- انظر :

Frye , *The golden age of Persia* , p.210.

55- انظر :

Frye , R. , " The new Persian renaissance in western Iran " , ***Arabic and Islamic studies in honor of Hamelton A. R. Gibb*** , (Cambridge , 1965) , pp.225 – 231 ; Büsse , H. , " The revival of Persian Kingship under the Buyids " , ***Islamic Civilization*** 915 – 1150 , ed. D. Richards (Oxford , 1973) , pp.57 – 69.

56- الصابئ ، التاجى ، ص45.

* بنو ضبة بطن من بطون العدنانية نسبة إلى ضبة بن أُدّ بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . انظر : السمعانى ، *الأنساب* ، ص360 ؛ القلقشندى ، *نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب* ، تحقيق : إبراهيم الإبيارى ، القاهرة ، 1959 ، ص318 – 319.

57- ابن حزم ، *جمهرة أنساب العرب* ، ص203 ؛ النويرى ، *نهاية الأرب* ، ج2 ، ص347 ؛ القزوينى ، *آثار البلاد* ، ص330.

58- أبو شجاع ، *ذيل* ، 418 ؛ الذهبى ، *العبر* ، ج2 ، ص367 .

59- ابن الجوزى ، *المنتظم* ، ج7 ، ص24.

60- للمزيد عنه انظر : البغدادى ، *تاريخ بغداد* ، ج3 ، ص334.

61 – ابن خلكان ، *وفيات* ، ج4 ، ص408.

كما قرب عضد الدولة إليه عالم النحو الشهير أبو على الحسن الفارسى (ت 377هـ / 987م)[62]. فصحبه وعلت منزلته عنده حتى قال عنه " *معلمى فى النحو أبو على الفارسى* " ، كما قام السيرافى بوضع كتب باللغة العربية خصيصاً لعضد الدولة مثل كتاب " الحجة فى القراءات السبع " ، وكتاب الإيضاح فى النحو ويسمى أيضاً " الإيضاح العضدى "[63]. وبلغ من اهتمامه بالنحو أنه قصر قراءة كتاب الإيضاح عليه دون غيره ، وأن أحدهم احتال حتى عمل نسخة من الكتاب فأمر عضد الدولة بقطع يده[64]. وظهر تأثير هذا التواجد العربى فى البلاط البويهى إلى درجة أن الحوار فى مجلس عضد كان يدور حول الفرق بين النحو العربى والنحو اليونانى[65]. وهو أمر بالغ الدلالة على مدى تبحر عضد الدولة فى اللغة العربية واهتمامه بها ؛ وليس أدل على ذلك من أن عضد الدولة كان ينظم الشعر بالعربية أحياناً ومن أبياته الشعرية :

عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر
سهل الله له بغيت فى ملوك الأرض ما دار القمر
وأراه الخير فى أولاده ليساس الملك منه بالغرر[66].

ولم يكن عضد الدولة وحده الذى نظم الشعر بالعربية ، فقد عرف عن عز الدولة بختيار بن معز الدولة (356 – 367هـ / 967 – 978م) أنه كان ينظم الشعر بالعربية ومن أبياته :

فيا حبذا روضتا نرجس تحيى الندامى بريحانها
شربنا عليها كأحداقنا عقاراً بكأس كأجفانها
ومسنا من السكر ما بيننا نجرر ريطاً كقضبانها[67].

كما كان هناك شعراء آخرين مثل تاج الدولة أبو الحسين أحمد بن عضد الدولة ، وأبو العباس فنا خسرو بن فيروز بن ركن الدولة[68].

ولم يكن عضد الدولة وحد أيضاً المهتم بالعربية والأدباء العرب ، فقد كان أبو حيان التوحيدى (ت400هـ/1009م) – وهو من أشهر الكتاب فى العصر البويهى حتى أنه لُقب بالجاحظ الثانى – ضمن رجال بلاط صمصام الدولة ووزيره ابن سعدان (ت 375هـ/985م) ،

62– عنه انظر : الزبيدى ، *طبقات النحويين واللغويين* ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، 1984 ، ص120.

63– القفطى ، *تاريخ الحكماء* ، ص152.

64– أبو شجاع ، ذيل ، ص68.

65– متز ، *الحضارة الإسلامية* ، ص324.

66– ابن الوردى ، *المصدر السابق* ، ص295.

67– الثعالبى ، *المصدر السابق* ، ص219.

68– راجع نماذج من شعرهم لدى الثعالبى ، المصدر نفسه ، ص220 –222.

وسجل المحاورات والمناظرات بينه وبين الوزير فى المسائل الأدبية فى مؤلفه الشهير الإمتاع والمؤانسة[69].

كما كان ابن البواب* وهو من وجوه البويهيين الكبار ، مقرباً من بهاء الدولة حتى أنه كان يسمح له بدخول خزانة كتبه[70]. وعلى يد هذا الرجل تطور الخط العربى بصورة كبيرة . حيث شارك مع ابن مقلة فى استحداث خط النسخ ، وإذا كان ابن مقلة أول من استحدث هذا الخط ، فإن ابن البواب " هذب *طريقته ونقحها* وكسا*ها* حلاوة *وبهجة* "[71].

وسار وزراء البويهيين على نهج أمرائهم ؛ فقد كان هؤلاء الوزراء من أرباب الثقافة الواسعة ، والمشجعين للأدب والثقافة العربية ؛ فالمهلبى وزير معز الدولة ، كان مشجعاً لأهل العلم والأدب ويجزل لهم العطايا ، حتى أنه احتضن أبى الفرج الأصفهانى (ت356هـ/966م) صاحب كتاب الأغانى ، وهو من عيون الأدب العربى[72]. وكذلك ابن العميد* (ت366هـ/976م) وزير ركن الدولة ، الذى اشتهر بأسلوبه فى الكتابة النثرية حتى قيل عنه " *بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد* "[73].

أما الصاحب بن عباد (ت.385هـ / 995م) وزير كل من مؤيد الدولة وفخر الدولة فكان أبرز هؤلاء فى ثقافته العربية ، حتى أن ابن النديم[74] وصفه بقوله " *فريد عصره فى البلاغة والفصاحة والشعر* " ، وامتلأ مجلسه بفحول الشعراء ، ووضع العديد من المؤلفات عن اللغة العربية والأدب ومنها " *كتاب المحيط* " عن اللغة ويقع فى سبع مجلدات ، وكتاب " *الكشف عن مساوئ شعر المتنبى* " . هذا بجانب نظمه العديد من الأشعار [75]. وهكذا لم يقل اهتمام كبار رجال

69- القفطى ، *المصدر السابق* ، ص59 .

* هو أبو الحسن على بن هلال الكاتب المشهور وللمزيد عنه انظر :

ابن خلكان ، *وفيات الأعيان* ، ج3 ، ص342 ؛ ابن العماد ، شذرات *الذهب* ، ج2 ، ص199.

70- الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ج17 ، ص317.

71- *أبجد العلوم* ، ج2 ، ص270 .

72- ياقوت ، معجم *الأدباء* ، ج3 ، ص183 وما بعدها .

* هو محمد بن الحسين بن العميد وللمزيد عنه انظر : الزهرانى ، *المرجع السابق* ، ص99 – 101 ؛

Amedroze , H. , " The Vizier Abu-l-Fadl Ibn al ʼAmid from the " Tajarib al –Umam " of Abu ʼAli Misawaih " , ***Islam*** 3 , (1912) , pp.323 – 351 ; Kabir , M. , " Ustad Abu ' L-Fadl ibn al-ʼAmid " , ***IC*** 35 , (1961) , pp.8-11.

73- الثعالبى ، *المصدر السابق* ، ج2 ، ص183.

74- *المصدر السابق* ، ج1 ، ص194.

75- الثعالبى ، *المصدر السابق* ، ج3 ، ص296 ؛ ياقوت ، معجم *الأدباء* ، ج2 ، ص 273.

البويهيين بالعربية وآدابها عن اهتمام ساداتهم . ومن نافلة القول أن هذا الاهتمام لم يكن ليظهر دون مباركة من الأمراء البويهيين أنفسهم .

وعلى هذا النحو كان اهتمام البويهيين ورجالهم بالعربية كبيراً ، ورغم أن تفاصيل هذا المشهد قد لا تكون بقوة المشهد الفارسى ، وربما يذهب البعض إلى أن اهتمام البويهيين بالأدب واللغة العربية كان جزءاً من أبهة الملك التى حاول الحكام البويهيين استكمالها. فإن المدقق فى تفاصيل ما سبق سيرى أن الاهتمام بالهوية العربية لم يكن فقط مجرد محاولة لاستكمال أبهة الملك أو إرضاء العناصر العربية فى دولتهم .

إننا لكى نصدر حكمنا فى هذه الإشكالية فى ضوء التفاصيل السابقة ، لا بد وأن ندرك أن البويهيين كأغلب العناصر الفارسية لم ينسوا هويتهم الأولى والمجد الفارسى القديم ، لذلك كان حرصهم على خلق نسب فارسى لهم ، وهو أمر ليس بجديد فقد حرصت عليه الدول الفارسية التى سبقت البويهيين كالدولة الطاهرية أو الصفارية ، أو السامانية[76]. فالنسب الفارسى هنا هو تجديد الرابط مع جذور حضارية قديمة قرت فى نفوس الفرس وألبابهم . والمخزون الحضارى الفارسى كان يتمثل أمام أية دولة فارسية تبزغ للوجود ، وهو ما حدث للبويهيين لذا حرصوا على إحياء بعض التقاليد الفارسية القديمة التى تذكرهم بهذا المجد المنصرم ، ساعدهم على ذلك أن غالبية الأراضى التى سيطروا عليها كانت تقطنها عناصر فارسية الأصل . تلك إذن كانت هويتهم الذاتية التى قرت فى أعماقهم وظهرت فى سلوكهم .

ثم جاءت الهوية العربية لتكمل هذه المنظومة ، فالفرس كأصحاب حضارة اعتبروا أن العرب قد بزوا تفوقهم بعد حملهم راية الإسلام ، لذلك حاول الفرس احتواء اللغة العربية حتى يكملوا هذه اللبنة التى تنقص بنيانهم الحضارى ، ولعل هذا قد ظهر بوضوح فى اللغة الفارسية التى تكتب معظمها بحروف عربية ، وتحتوى على الكثير من الألفاظ العربية . وفى ضوء ذلك كان اهتمام البويهيين بالهوية العربية كجانب مكمل لهويتهم الذاتية ، والهوية التى تراهم رعيتهم بها إرضاءً أيضاً للجانب العربى من دولتهم .

****

76- عن هذه المحاولات انظر : عبد المهدى يادكارى ، *دراسة موضوعية لنسب الطاهريين* ، مجلة الإخاء ، العدد 351 ، 1973 ، ص10 – 11 ؛ فتحى أبو سيف ، *خراسان تاريخها السياسى من سقوط الطاهريين إلى بداية الغزنويين* ، القاهرة ، 1988 ، ص43 ، 112 ؛

Bosworth , C. , *The heritage of rulership in early Islamic Iran and the search for dynastic connection with the past* , (Iran , 1973) , pp.58 – 60.

وإذا ما ولينا وجهنا شطر هويتهم المذهبية ، تبدو لنا هى الأخرى مثيرة للجدل ، فتارة نراهم يميلون للمذهب الشيعى الزيدى ، وتارة أخرى نراهم يحتضنون الإثنا عشرية ، وتارة ثالثة يدعمون الإسماعيلية . ومابين هذا وذاك يظهرون تعاطفهم أحياناً مع المذهب السنى ، ويظهرون دعمهم للمعتزلة أحياناً أخرى .

فالبويهيين كانوا شيعة حتى النخاع ، ولعل فى الرؤية التى رأتها والدة عضد الدولة – والتى قصها الأخير فيما بعد ، والتى تحدثت فيها عن كيف تمثل لها على بن أبى طالب رضى الله عنه فى نومها وبشرها فيه بغلام [77]، ما يفصح عن هذا التوجه . وتبدو هويتهم الشيعية فى مشاركتهم فى طقوس الشيعة وشعائرهم الدينية ، فقد شيد عضد الدولة مشهدين لعلى بن أبى طالب والحسين رضى الله عنهما [78]. وحرص الأمراء البويهيون على زيارة هذين المشهدين[79]. ولم يكتف البويهيون بذلك ، فبجانب مشاركتهم الاحتفال بالأعياد التقليدية للشيعة نراهم يبتكرون أعياداً جديدة ليحتفل بها الشيعة مثل عيد الغدير* الذى أمر معز الدولة عام 352هـ/963م بالاحتفال به فى تخليداً لذكرى موقف النبى صلى الله عليه وسلم مع على رضى الله عنه[80].

وقد اشتهر البويهيين بأنهم زيدية سليمانية ، ويرجع اعتناقهم لهذا المذهب إلى أن الإسلام انتشر فى موطنهم الأصلى على يد دعاة شيعة زيدية [81]. وبلغ الأمر بهم أنهم فكروا فى قلب نظام الخلافة وجعلها خلافة شيعية زيدية [82] ؛ فقد قرر معز الدولة أن يجعل البيعة بالخلافة لرجل شيعى زيدى هو أبو حسن محمد بن يحي الزيدى العلوى بدلاً من الخليفة العباسى المستكفى . ثم تراجع

77- ذكر عضد الدولة أن والدته قصت عليه أنها كانت حاملاً لطفل قبله لأبيه ركن الدولة لكنه مات فحملت بعدها به لكنها خشت أن تنجب بنتاً وهى تعلم كراهية ركن الدولة لهن ، فدعت الله أن يرزقها بولد سوى ، فلما تغشاها النعاس رأت شيخاً جليلاً أخبرها أنه على بن أبى طالب وبشرها بغلام يصبح ملكاً يسوس الناس بالعدل ويملك بلاد العراق وفارس .....
انظر : مسكويه ، *المصدر السابق*، ج2 ، ص418 ، 419 ، حاشية أمدروز.

78- المستوفى ، *تاريخ كزيده* ، ص 415.

79- ابن الأثير ، *المصدر السابق* ، ج8 ، ص27 ؛ الصابى ، *كتاب الوزراء* ، ص371.

* نسبة إلى غدير خم ، وهو المكان الذى اجتمع فيه النبى (ص) بعلى رضى الله عنه وقال : من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ... انظر : الشهرستانى ، *المصدر السابق*، ج2 ، ص167.

80- الهمذانى ، *المصدر السابق* ، ص400.

81- المسعودى ، *مروج الذهب ومعادن الجوهر* ، ج2 ، ص511.

82- انظر :
Busse ,H. , *Chalif und Grosskönig , Die buyiden im Iraq (945 – 1055)* , (Beirut , 1969) , p.27.

عن ذلك بناء على نصيحة أحد أتباعه خوفاً من غضبة السنة فى الولايات التابعة له ، وخوفاً من أن يطيع الجنود الديالمة – وهم شيعة زيدية فى الأصل– الخليفة الشيعى ويعصونه[83].

وفى الوقت الذى أظهر فيه البويهيون ميلهم للزيدية ، نجدهم يحتضنون الشيعة الإمامية ، ويتيحون لشيوخها المجال لكى ينشروا مذهبهم بل ويردون على مخالفيهم فقد حبى ركن الدولة رأس الإمامية ابن بابويه* بعنايته وتقديره[84]. كما أكرم عضد الدولة ابن المعلم* (ت.413هـ/1022م) وهو من أشهر شيوخ الشيعة الإمامية ، وشجعه على عمل حلقات للمناظرات والرد على مخالفيه[85].

لكن هذا التوجه سرعان ما تغير سريعاً ، فقد نفى بهاء الدولة ابن المعلم عن العراق حينما تسبب فى اضطراب الأمور فى بغداد [86] عام 389هـ / . كما أمر الخليفة القادر بالله عام 408هـ / بلعن الإثنى عشرية على المنابر ، وطرد أنصارهم من العراق [87]. ومن نافلة القول أن هذا الإجراء الأخير لم يكن ليتم دون علم البويهيين أو معارضتهم .

كذلك رأى أحد الباحثين[88] أن البويهيين كانوا على المذهب الإسماعيلى استناداً إلى وجود علاقات طيبة بين البويهيين والفاطميين[89] ، برغم أن العلاقات بين الطرفين لم تكن ودية فى بدايتها بعد أن مد البويهيون يد المساعدة العسكرية لجيوش القرامطة فى مواجهة الفاطميين[90]. وما قام به عضد الدولة من إرسال حملة عسكرية على الشام لانتزاعها من الفاطميين[91]. كما لم تتوقف محاولات الكيد بين الطرفين ومحاولة كل طرف استمالة المقربين من الطرف الآخر ؛ فقد استطاع

83– الهمذانى ، *المصدر السابق* ، ص149.

* هو أبو جعفر محمد بن على ابن حسين القمى أحد كبار الإمامية. وللمزيد عنه انظر : الذهبى ، سير *أعلام النبلاء* ، ج16 ، ص303.

84– ابن النديم ، *المصدر السابق* ، ص196.

* هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان المعروف بالشيخ المفيد ، وله مصنفات كثيرة فى الفكر الشيعى بلغت حوالى مائتى مصنف . وللمزيد عنه انظر : البغدادى ، *تاريخ بغداد* ، ج3 ، ص231.

85– ابن الجوزى ، *المصدر السابق* ، ج8 ، ص411.

86– نفسه ، ج7 ، ص220.

87– نفسه ، ج7 ، ص287.

88– انظر :

Tyan ,E., *Institutions du droit public musulman* , II , *Sultanat et Califat* , (Paris , 1956) , p.496.

89– للمزيد من التفاصيل عن طبيعة هذه العلاقات انظر :

Kabir , M. , " The relation of Buwayhids with Fatimids " ***Indo - Iranica*** , 8 (1955) , pp.28 – 33.

90– ابن القلانسى ، *ذيل تاريخ دمشق* ، ص2 ؛ ابن أيبك الداودارى ، *الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية* ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، 1961 ، ج6 ، ص134.

91– مسكويه ، *المصدر السابق*، ج2 ، ص38 ؛ الانطاكى ، *المصدر السابق* ، ص187.

عضد الدولة استمالة بعض زعماء القرامطة الموالين للفاطميين ، ودفعهم للاعتراف بالسيادة العباسية[92]. وفى المقابل استقبل العزيز فى بلاطه اثنان من البيت البويهى المعادين لعضد الدولة وهما المرزبان بن عز الدولة وإبراهيم بن معز الدولة[93].

لكن تلك العلاقات كان يغلب عليها الطابع الدبلوماسى فى بعض الأحيان ؛ فقد ذكر ابن الأثير[94] أن معز الدولة عندما فكر فى القضاء على الخلافة السنية وتنصيب خليفة شيعى فكر فى مبايعة الخليفة الفاطمى المعز لدين الله الفاطمى . كذلك أشارت المصادر[95] إلى وجود اتصالات بين عضد الدولة والعزيز بالله الفاطمى (365–386هـ / 975 – 996م) [96]. فقد أرسل العزيز بالله عام 369هـ/ 980م رسولاً منه إلى عضد الدولة يحمل رسالة خاصة ، ومكث هذا الرسول فى بغداد ثلاثة أشهر وعاد إلى القاهرة مع رسول من عضد الدولة . وخلال المراسلات بينهما اعترف عضد الدولة بفضل آل البيت ، وأقر بأن العزيز منهم وأنه فى طاعته وخاطب العزيز بالحضرة الشريفة وأقر له بالطاعة[97]. ولم يكن هذا الأمر سرياً بل أن عضد الدولة استقبل رسول العزيز فى حضرة الخليفة العباسى[98].

بجانب ذلك حاول عضد الدولة التشبه بالفاطميين فى رسومهم ؛ فكما أنهم اتخذوا من النصارى وزراء لهم[99]. اتخذ هو عام (363هـ / 973م) وزيرين هما المطهر بن عبد الله وجعل

92– أبو شجاع ، *المصدر السابق* ، ج3 ، ص109.

93– القلانسى ، *المصدر السابق* ، ص21 ، الانطاكى ، *المصدر السابق* ، ص188 –189.

94– *المصدر السابق* ، ج7 ، ص208.

95– الأزدى ، *أخبار الدول المنقطعة* ، تحقيق : على عمر ، القاهرة ، 2001 ، ص110 – 112 ؛ السيوطى ، *تاريخ الخلفاء* ، القاهرة ، 1351هـ ، ص270 – 271.

96– عن طبيعة العلاقة بين الطرفين انظر :

Shainool , J. , " Fatimid-Buyid diplomacy during the reign of Al-Aziz billah (365/975 – 386/996) " , ***The Institute of Ismaili Studies*** , (2000) , pp.1-16.

97– وكان هذا اللقب يرمز به فى تلك الفترة إلى سلالة العلويين أو الطالبيين . انظر :

Burgel , C. , *Die hokorrespondenz 'Adud ad-Daulas und ihr verhältnis zu anderen historischen quellen der frühen Büyiden* , (Weisbaden , 1965), p.149.

98– عن نص رسالة العزيز بالله انظر : الأزدى ، *المصدر السابق* ، ص110 ؛ ابن تغرى بردى ، *النجوم الزاهرة فى تاريخ ملوك مصر والقاهرة* ، ج4 ، القاهرة (ب. ت) ، ص 124 – 125 ؛

Cahen , C. , " Une Correspondance Būyide inédite " , in : ***Studi Orientalistici in onore di Giorgio levi Della Vida*** , (Rome , 1956) , pp.83 – 97.

99– ابن الصيرفى ، *الإشارة إلى من نال الوزارة* ، ص25، 28 ؛ ماجد ، *نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر* ، ج1 ، القاهرة ، 1953 ، ص92.

مقر إقامته ببغداد ، ونصر بن هارون النصرانى فى فارس ، فكان بذلك أول من اتخذ وزيراً نصرانياً[100].

كذلك مال أبو كاليجار للفاطميين ورحب بداعيهم هبة الله الشيرازى ، وسمح له بنشر المذهب الإسماعيلى فى العراق ، وظهرت ميوله الإسماعيلية فى قوله لهبة الله "*أسلمت نفسى ودينى وإننى راض بجملة ما أنت عليه* " . ولكنه اشترط عليه ألا ينشر اعتناقه للمذهب الإسماعيلى[101].

بجانب ذلك أظهر البويهيين نوعاً من التعاطف مع المذهب السنى ، فقد سمح عضد الدولة لشيوخ المذهب السنى بعقد المناظرات الكلامية ، وكان على رأسهم أبو بكر الباقلانى* (ت403هـ/1012م) . وقربه منه ، بل ودفع إليه ابنه صمصام الدولة يعلمه مذهب أهل السنة[102]. زد على ذلك أنه اختاره كرسول له للإمبراطور البيزنطى قسطنطين التاسع دون الشيعة[103]. وزاد من قوة السنة ما أقدم عليه الخليفة العباسى القادر بالله عام 419هـ/1028م من عزل جميع أئمة المساجد الشيعة وعين مكانهم أئمة سنة [104].

كما مال البويهيون للمعتزلة ؛ فعضد الدولة كان يقول بالاعتزال ، وحسبنا أن أبوعلى الفارسى معلم عضد الدولة كان على مذهب المعتزلة[105]. كما أنشأ أحد رجال حاشية عضد الدولة ويدعى أبو على بن سوار (ت372هـ / 982م) داراً للكتب ورتب فيه شيخ يدرس علم الكلام على مذهب المعتزلة[106]. كما كان عبد الله بن أحمد (ت381هـ / 991م) قاضى قضاة بغداد من المعتزلة[107]. كذلك فقد عين مؤيد الدولة عبد الجبار المعتزلى* قاضى قضاة للرى[108]. وتظهر قوة

100- مسكويه ، *المصدر السابق*، ج2 ، ص411.

101- الشيرازى ، *المصدر السابق* ، ص43.

* هو القاضى أبو بكر محمد بن الطيب بن القاسم ، من كبار الأشعرية وله الكثير من المؤلفات فى علم الكلام وللمزيد عنه انظر : ابن الخلكان ، وفيات ، ج4 ، ص269 – 270.

102- ابن تغرى بردى ، *المصدر السابق* ، ج4 ، ص234 .

103- ابن الأثير ، *المصدر السابق* ، ج7 ، ص111؛ البغدادى ، *الفرق* ، ص221.

104- ابن الجوزى

105- ابن كثير ، *المصدر السابق* ، ص327.

106- المقدسى ، *المصدر السابق* ، ص276.

107- البغدادى ، *تاريخ بغداد* ، ج10 ، ص365.

* هو عبد الجبار أحمد الهمذانى ، شيخ المعتزلة فى عصره ، صنف العديد من المؤلفات أهمها : " المغنى فى أبواب التوحيد والعدل " ، " فضل الاعتزال " وغيرها ... وللمزيد عنه انظر : السبكى، *طبقات الشافعية* ، ج3 ، ص114 ؛
Anawati , Caspar , Khodeiri , " Vue Somme inédite de théologie mu'tazilits , Mughnai du qadi Abdal-Jabbar " , ***MIDEO*** 4 , (1957) , pp.281 – 316.

108- ابن كثير ، *المصدر السابق* ، ج11 ، ص310.

المعتزلة خلال هذا العصر فى أن الخليفة القادر بالله استتابهم عام 408هـ/1017م مع الشيعة ووقعوا محضراً بذلك[109]. كما كان جمعهما معاً يدل على انتشارهما .

تلك إذن عناصر المشهد البويهى فيما يخص الجانب المذهبى من هويتهم ، ونلاحظ هنا أنهم كانوا متذبذبين. وقد رأى أحد الباحثين[110] أن البويهيين فضلوا المذهب الشيعى الزيدى على افتراض أنه يمكنه أن يوفق بين المذهب السنى التقى الذى تدين به غالبية الناس فى غرب إيران والعراق ، والزرادشتيين الذين مثلوا المثل الأعلى الذى حاول البويهيون تطبيقه فى بلاطهم وثقافتهم . وهذا الرأى تبدو فيه المبالغة فقد كان ميلهم للزيدية بحكم الموطن والنشأة ، ولم يكن للمعتقد الزيدى كبير الأثر عند البويهيين ، يدل على ذلك أن المذهب الزيدى أنكر حديث غدير خم ، حينما قال أن أحقية على بالخلافة لا تقوم على نص صريح وتحديد قاطع من النبى صلى الله عليه وسلم[111]. فى الوقت الذى رأينا فيه البويهيين يحتفلون بتلك المناسبة كما سبق أن ذكرنا . كما أن تخلى البويهيون عن فكرة اختيار خليفة زيدى تؤكد على أن المصلحة السياسية غلبت على الناحية المذهبية فلم يكن الأمراء البويهيون ليدعون أمراً يهدد سيطرتهم وقوتهم ، حتى لو كان هذا متطابقاً مع مذهبٍ من المفترض أنهم يعتنقونه . إذن كانت المصلحة السياسية هى الغالبة على البويهيين فى علاقتهم بالمذهب الزيدى ، فماذا عن علاقتهم بالفاطميين .

كانت العلاقة بين البويهيين والفاطميين متقلبة ، فكما ظهر الود بينهما سرعان ماسرى الفتور والعداء فى أوصال تلك العلاقة . فعضد الدولة سرعان ما أنقلب على العزيز وأعلن نيته لغزو مصر وبالفعل جهز الجيش وكتب على أعلامه اسم الخليفة العباسى الطائع لله وتأهب للتحرك[112]. لكنه عدل عن موقفه نتيجة انشغاله بالنزاع مع أخيه فخر الدولة ثم وافته المنية قبل أن يجدد مشروعه[113]. ويذكر المقريزى[114] أن السبب فى تغير موقف عضد الدولة هو أنه جمع كبار فقهاء الشيعة فى بغداد ، وطلب منهم تحرى النسب الفاطمى فأنكروا انتساب الفاطميين لآل البيت النبوى الشريف مما جعله يعرض عن الاعتراف بإمامته . بينما ذكر ابن الأثير[115] أن تحول عضد

109- ابن الجوزى

110- انظر :

Frye , Golden age , p.212.

111- الأشعرى ، *مقالات الإسلاميين* ، ج1 ، ص129 ؛ أحمد رمضان ، *الخلافة فى الحضارة الإسلامية* ، القاهرة ، (ب.ت) ، ص225.

112- *الفرق بين الفرق* ، ص169.

113- الأزدى ، *المصدر السابق* ، ص111.

114- *اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا* ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، 1948 ، ص36 .

115- الكامل ، *المصدر السابق* ، ج7 ، ص390.

الدولة عن موقفه هو زواج الخليفة العباسى الطائع من ابنته وإتاحة الفرصة ليكون حفيده هو الخليفة القادم للدولة العباسية .

كذلك ظهر موقف البويهيين المناهض للفاطميين حينما خرج أمير الموصل قرواش بن المقلد العقيلى على طاعة العباسيين عام 401هـ/1010م ، وأعلن ولائه للفاطميين وترحيبه بمذهب الإسماعيلية ، وعندها طلب القادر بالله من بهاء الدولة التدخل رد الأخير على رسول الخليفة بقوله " *والله إن عندنا من هذا الأمر أكثر مما عند أمير المؤمنين لأن الفساد علينا به أكثر ....* " ، ثم أتبع ذلك بإرسال جيوشه التى نجحت فى إعادة قرواش إلى رشده [116]. ويبدو هنا طابع العداء فى القول والفعل من جانب البويهيين للفاطميين ومذهبهم .

ثم تطور الأمر بصدور المحضر العباسى المناهض للفاطميين عام 402هـ / 1011م الذى أصدره الخليفة القادر بالله وتضمن التشكيك فى نسب الفاطميين لبيت البنى ووصفهم بالكفر ... إلى غير ذلك من الاتهامات[117]. ولم يكن هذا المحضر ليتم دون رغبة البويهيين ، بل ووقع من أئمة السنة وأئمة الزيدية والإثنى عشرية فى العراق[118].

وهذا الموقف المتباين من البويهيين حيال الفاطميين يظهر بجلاء أن ميل البويهيين للإسماعيلية كان سياسياً أكثر منه مذهبى ، وأن المصلحة السياسية كان لها اليد العليا فى تأطير هذه العلاقة . ويبدو أن موقف الطرفين من البيزنطيين قد ساعد على التقارب بينهما ، فنظراً لعلاقة العداء بين البيزنطيين وكلاً من البويهيين والفاطميين[119]، فإن التقارب هنا كان فى مصلحة الطرفين . ويبدو من الخطاب الذى أرسله العزيز بالله لعضد الدولة أن هناك اتفاقاً تم على قتال البيزنطيين سوياً ويبدو فى قوله "*وقد علمت ما جرى على ثغور المسلمين من المشركين وخراب الشام ... ولولا ذلك لتوجه أمير المؤمنين بنفسه إلى الثغور ، وسوف يقدم إلى الحيرة وكتابه يقدم عليك عن قريب فتأهب للجهاد فى سبيل الله* "[120]. ويفصح النص السابق عن وجود اتفاق على تحرك الفاطميين واشتراكهم مع البويهيين فى قتال عدوهم المشترك. إذن كانت المصلحة السياسية هى

116- ابن الجوزى ، *المصدر السابق* ، ج7 ، 248 – 250.

117- ابن تغرى بردى ، *المصدر السابق* ، ج4 ، ص229 – 231.

118- ابن الأثير ، *المصدر السابق* ، ج8 ، ص73.

119- عن العلاقات بين البويهيين والبيزنطيين انظر :

Donohue , *The Buwayhid dynasty in Iraq* , p.76 – 80 ; Amedroz , H. , " An embassy from Baghdad to the Emperor Basil II " , ***JRAS*** , (1914) , pp.915 – 942.

وعن علاقة الفاطميين بالبيزنطيين انظر : إبراهيم العدوى ، *الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية* ، القاهرة ، 1951 ، ص 105 – 107 ؛ طارق منصور ، *بيزنطة والعالم الخارجى* ، *ج1* ، *البيزنطيون والعالم الإسلامى* ، القاهرة ، 2003 ، ص 179 وما بعدها .

120- ابن تغرى بردى ، *المصدر السابق* ، ج4 ، ص124 – 125.

المحرك الأول لهذا التقارب ، وما يدعم ذلك أن الثقة كانت مفقودة بين الطرفين ؛ فقد استعان عضد الدولة ببعض الجواسيس فى القاهرة لنقل أخبار الفاطميين إليه[121]. كما أن العزيز بالله عندما رأى ميل عضد الدولة لنقض الاتفاق بينهما أراد أن يرهب الأخير فأرسل من سرق الأسد الفضى الذى كان يضعه فى مقدمة جندوله المفضل[122]. ويبدو أن هذا الارتياب فى النوايا لم يكن على النطاق الرسمى فقط ، بل تعداه للنطاق الشعبى ، إذ يذكر أبو شجاع[123] أن أحد التجار المصريين رفض التعامل بالدرهم التاجى الذى سكه عضد الدولة .

وقد رأى أحد الباحثين[124] أن تحالف عضد الدولة مع الخليفة الفاطمى كان تهديدا للخليفة العباسى لإجباره على الاعتراف بوضعه المسيطر على الأمور . وهو رأى وجيه يدعمه جهر عضد الدولة بعلاقته بالفاطميين واستقباله لرسول الفاطميين فى حضرة الخليفة العباسى . ولكن هذه التوجه لم يكن الوحيد الذى صاغ أبعاد هذه العلاقة ، فقد فطن ابن الأثير إلى أهداف عضد الدولة حين أشار إلى أن تخلى الأخير عن صداقته للفاطميين مرجعه مصاهرة الخليفة العباسى له وما رمت إليه تلك المصاهرة من أهداف بعيدة . ولعل الخليفة الفاطمى نفسه أدرك أن عضد الدولة لم يكن مخلصاً فى ولائه للفاطمين بقدر ما تهمه مصلحته الشخصية ، لذلك حرص على معاملته معاملة الند وليس التابع ، وظهر ذلك فى مخاطبته لعضد الدولة بلقب الإمام [125].

كذلك يظهر تحكم المصلحة السياسية فى التبرير الذى ساقه أبو كاليجار لداعى الفاطميين المؤيد عند تخليه عن مناصرته بقوله " *ثم أنه قامت رغبتنا فى بغداد وامتلاكها وليس يكاد يتم الغرض فيه إلا بالمجلس الخليفى الإمامى* ... " [126]. خاصة بعد أن هدده الخليفة العباسى باللجوء للسلاجقة للاستعانة بهم[127].

على الجانب الآخر نجد أن ميلهم للسنة فبدأ بعد أن تمت الاستعانة بالأتراك فى الجيش[128]. فقد دخل الترك الجيش بعد أن لمس معز الدولة خيانة الديلم بعد أن مالوا لأحد قادته

121- أبو شجاع ، *المصدر السابق* ، ج3 ، ص60 – 61.

122- الأزدى ، *المصدر السابق* ، ص111.

123- أبو شجاع ، *المصدر السابق* ، ص60.

124- انظر :

Shainool , J. , op.cit. , p.6.

125- ابن تغرى بردى ، ، *المصدر السابق* ، ج4 ، ص124

126- *السيرة* ، ص73.

127- نفسه ، ص64

128- انظر :

Bosworth , C. , " Military organizing under the Buyids of Persia and Iraq " , ***Oriens*** , 18 – 19 , (1965 – 66) , p

ضده وهو الروزبهان عام 345هـ / 956م[129]. أما الصحوة المفاجئة للسنة فى عهد القادر بالله فيمكن أن نفسرها فى ضوء ما رآه أحد الباحثين[130] من أن تلك الصحوة كانت نتاج تعاظم قوة الغزنويين السنة مقابل ضعف البويهيين الشيعة . إذن كانت المصلحة السياسية أيضاً تحكم علاقتهم بالمذهب السنى سواء لكسب رضاء العناصر السنية فى الجيش أو من رعيتهم ، ونهاية بخوفهم من القوى السنية التى ظهرت كمنافس لهم كالغزنويين ومن بعدهم السلاجقة .

وأخيراً فإن ميلهم للمعتزلة يظهر فى أن المعتزلة يوافقون الشيعة إلا فى مسألة الإمامة ، وكان الزيدية أكثر من غيرهم ميلاً لمذهب المعتزلة . كما ارتقى الزيدية بسند المعتزلة حتى أوصلوه إلى على بن أبى طالب ويرون أن واصل أخذ عن محمد بن على وأن محمد أخذ عن أبيه . وقول الشيعة بضرورة وجود إمام معصوم له اتصال بما اختص به المعتزلة من القول بوجوب هداية أساسها الحكمة والعدل الإلهيان ، فلابد عند المعتزلة من أن يجعل الله لكل عصر قائداً معصوماً[131].

كما كان المعتزلة قريبى الشبه بالزرادشتية فى قولهم أن الله يخلق الخير والشيطان يخلق الشر[132]. وبسبب هذه الاثنينية سمى المعتزلة " مجوس الأمة الإسلامية[133]. ولما سبق وتحدثنا عن ميول البويهيين للزرادشتية فى إطار ميولهم الفارسية ، لذلك لم يكن غريباً أن يظهر البويهيون اهتماماً خاصاً بالاعتزال .

صفوة القول ؛ كانت الهوية المذهبية للبويهيين تسير غالباً فى ركاب مصلحتهم السياسية فلم يكن للجانب العقدى كبير الأثر على توجهاتهم السياسية ، بل كان العكس هو الصحيح ، ومن ثم فإن محاولتنا لتحديد هويتهم المذهبية يجب أن تكون فى إطار فهمنا لفكرهم السياسى وأبعاده .

129- ابن كثير ، ، *المصدر السابق* ، ج11 ، ص244 ؛ الهمدانى ، ، *المصدر السابق* ، ص381 .

130- عبد المجيد بدوى ، *التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى فى المشرق الإسلامى من القرن الخامس الهجرى حتى سقوط بغداد* ، القاهرة ، 1988 ، ص8.

131- ميتز ، ، *المرجع السابق* ، ص93 ، 109.

132- تنسب هذه الديانة إلى زرادشت أو (زورآستر Zoroaster) عند اليونانيين ؛ والذي يؤرخ له من الناحية التقليدية بالفترة (628-551 ق.م) . وأساس هذه الديانة وجود إله الكون المسمى (أهورامزدا) ، وهو خالق الكون المسئول عن وجود الخير به ، وعلى الجانب الآخر هناك الشيطان المسمى (أهرمان) والمسئول عن عن وجود الشر في الكون . وبما أنهما في جوهرهما متعارضان ، فإن الصراع بينهما دائم ، لكن النصر في النهاية يكون لإله الخير (أهورامزدا) . انظر : جفري بارندر ، " *المعتقدات الدينية لدى الشعوب* " ، ترجمة : إمام عبد الفتاح ، مراجعة : عبد الغفار مكاوي ، عالم المعرفة ، العدد 173 ، الكويت مايو 1993 ، ص 116-119 .

وكان الزرادشتيون يرمزون لأهورامزدا بالنور أو النار ، لذلك كانوا يقدسونها ، وأقاموا لها العديد من المعابد ، كما قدسوا الشمس أيضاً .. ؛ محمد جواد مشكور ، دينكرد ، طهران 1325 ش ، ص57.

133- ميتز ، ، *المرجع السابق* ، ص 281.

وإذا كانت هويتهم القومية قد مالت للجانب الفارسى ، فإن الهوية المذهبية مالت أكثر نحو غاياتهم السياسية .